مؤسسة غرباء لنشر التوحيد

هل الأصل في الناس اليوم
الإسلام أم الكفر؟



جمع وإعداد

عبد الرحمن الحارث

حِينـَمَا ننطلق من كون هذه الأمة مسلمة أصلاً (أي أنَّ الأصل في الناس الإسلام) ، تختلُّ الموازين .في حين أنَّ مِنْ واجبنا أن نعرف الإسلام ونُحاكِمِ إليه الناس،وحينها سَنُدرِكُ أنَّهم مشركون من قرون عديدة أباً عن جد

مقدمة

ينطلق البعض من كون هذه الأمة مسلمة أصلا (أي : الأصل في أهلها الإسلام حتى يثبت كفر الفرد منهم) بينما ينطلق آخرون من كون هذه الأمة كافرة أصلا (أي : الأصل في أهلها الكفر حتى يثبت إسلام الفرد منهم)، إنّ كلا الفريقين انطلق من قاعدته وتصوُّره حسب معرفته ومفهومه للإسلام.

فإذا ما أردنا أن نبين الحق في هذه المسألة (بالغة الخطورة)، فإنه علينا أولا – ولزاما - أن نبين المفهوم الحقيقي للإسلام، وهو الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم.وعندما يتضح لدينا المفهوم الحقيقي للإسلام ، حينها فقط سنُدرك: هل هذه الأمة على الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (ويكون الأصل فيها الإسلام) ، أم أنها على غير هذا الإسلام الذي جاء به محمد صلى الله عليه وسلم (ويكون الأصل فيها الكفر).

إنّ من أفضل ما يبين الإسلام الحق هو سيرة النبي صلى الله عليه وسلم مع كفار قريش، ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم واجههم بالدعوة عمليا ، لذلك عرفوا (إلى ما يدعوهم إليه؟؟) . إن معرفتهم بما يدعوهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم يبين لنا بشكل واضح وجلي المفهوم الحقيقي للإسلام .

فما الذي فهمه كفار قريش من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم لما دعاهم الى الإسلام؟
هل فهموا أنه يدعوهم لمجرد التلفظ بكلمة التوحيد (لا إله إلا الله)فحسب ليكونوا بذلك مسلمين؟؟
أم أنهم فهموا أمرا فوق ذلك ؟؟

هذا ما سنسلط عليه الضوء - بإذن الله تعالى - ، ليتبين لنا المفهوم الحقيقي للإسلام.

****

عن ابن عباس, قال: (لما مرض أبو طالب دخل عليه رهط من قريش فيهم أبو جهل بن هشام فقالوا: إن ابن أخيك يشتم آلهتنا, ويفعل ويفعل, ويقول ويقول, فلو بعثت إليه فنهيته; فبعث إليه, فجاء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فدخل البيت, وبينهم وبين أبي طالب قدر مجلس رجل, قال: فخشي أبو جهل إن جلس إلى جنب أبي طالب أن يكون أرق له عليه, فوثب فجلس في ذلك المجلس, ولم يجد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مجلسا قرب عمه, فجلس عند الباب, فقال له أبو طالب: أي ابن أخي, ما بال قومك يشكونك؟ يزعمون أنك تشتم آلهتهم, وتقول وتقول; قال: فأكثروا عليه القول, وتكلم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فقال: « يا عَمّ إنّي أُرِيدهُمْ عَلى كَلِمَةٍ وَاحِدةٍ يَقُولُونَهَا, تَدِينُ لَهُمْ بِها العَرَبُ,وتُؤَدّي إلَيْهِم بِها العَجَمُ الجِزْيَةَ » ففزعوا لكلمته ولقوله, فقال القوم: كلمة واحدة؟ نعم وأبيك عَشْرًا; فقالوا: وما هي؟ فقال أبو طالب: وأيّ كلمة هي يا ابن أخي؟ قال: « لا إلَهَ إلا اللهُ » قال: فقاموا فزِعِين ينفضون ثيابهم, وهم يقولون: (أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) . رواه الطبري[125/23]

في الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم أراد من مشركي قريش كلمة واحدة يقولونها،فقال القوم مستبشرين فرحين : نعم وأبيك عشرا ، أي : أنه إن كان ما بيننا يزول بسبب كلمةٍ واحدة نقولها نعطيكها وعشر أمثالها،فلمّا قال النبي صلى الله عليه وسلم هي : « لا إلَهَ إلا اللهُ » قاموا فزعين مُغضَبين .

أتُراهم تراجعوا عن قولهم (نعم وأبيك عشرا) ؟ الجواب : لا ، لم يتراجعوا ، وإنما : فهموا أنَّ المطلوب منهم ليس مجرَّد النطق بتلك الكلمة العظيمة فحسب ، وإنما هو أمرٌ أكبر من ذلك ، فقد فهموا أنَّ « لا إلَهَ إلا اللهُ » تعني : إفراد الله بالألوهية وإخلاص العبادة له وحده ، وذلك قولهم : (أَجَعَلَ الآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ) .

عَنِ الْأَشْعَثِ بْنِ سُلَيْمٍ ،عَنْ رَجُلٍ مِنْ كِنَانَةَ ، قَالَ : رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِسُوقِ ذِي الْمَجَازِ ، وَهُوَ يَقُولُ : " قُولُوا لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ تُفْلِحُوا " . وَإِذَا خَلْفَهُ رَجُلٌ يَسْفِي عَلَيْهِ التُّرَابَ ، فَإِذَا هُوَ أَبُو جَهْلٍ وَيَقُولُ : لَا يَغُرَّنَّكُمْ هَذَا عَنْ دِينِكُمْ ، فَإِنَّمَا يُرِيدُ أَنْ تَتْرُكُوا عِبَادَةَ اللَّاتِ وَالْعُزَّى . رواه أحمد وابن حبان وغيرهما وإِسْنَادُهُ قَوِيٌّ.

هذا أبو جهل (وفي رواية أخرى : أبو لهب) فهِمَ أن النبي صلى الله عليه وسلم لا يريد منهم مجرد قول لا إله إلا الله فحسب كي يفلحوا ، وإنما فهم أنه أتاهم بدين جديد يختلف تماما عن دينهم لذلك قال:(لا يغرنكم عن دينكم).

لقد فهم أن هذا الدين يدعو إلى ترك عبادة اللات والعزى (لا إله) وإفراد الله بالألوهية (إلا الله).

فهموا من لا إله إلا الله أنها تنفي عبادة الآلهة الباطلة وتفرد الله بالألوهية ، فلا إله يستحق العبادة إلا الله.

قال تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُو آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾} سورة الصافات

قال ابن جرير الطبري(310هـ) : يقول تعالى ذكره: ويقول هؤلاء المشركون من قريش،أنترك عبادة آلهتنا لشاعر مجنون يقول: لاتباع شاعر مجنون، يعنون بذلك نبي الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ونقول: لا إله إلا الله. اهـ .

فهموا أنَّ لا إله إلا الله تعني ترك عبادة آلهتهم الباطلة ، فلا إله يستحق العبادة إلا الله.

قال تعالى : {وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ وَقَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا إِفْكٌ مُّفْتَرًى ۚ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٤٣﴾} سورة سبأ

قال ابن جرير الطبري(310هـ) : (قَالُوا مَا هَذَا إلا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُكُمْ) يقول: قالوا عند ذلك: لا تتبعوا محمدًا، فما هو إلا رجل يريد أن يصدكم عما كان يعبد آباؤكم من الأوثان، ويغير دينكم ودين آبائكم .اهـ

فهموا أنَّ لا إله إلا الله تعني : ترك دين آبائهم المتمثِّل في عبادة الأصنام ، واتِّباع دين جديد متمثِّل في إخلاص العبادة لله عز وجل .

عن ابن عباس أن أبا سفيان بن حرب أخبره : أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش وكانوا تجارا بالشام في المدة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ماد فيها أبا سفيان وكفار قريش، فأتوه وهم بإيلياء فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه

فقال هرقل : أيكم أقرب نسبا بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟فقال أبو سفيان: فقلت: أنا أقربهم نسبا. فقال هرقل : أدنوه مني وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره، ثم قال لترجمانه: قل لهم: إني

سائل هذا عن هذا الرجل فإن كذبني فكذبوه، قال ابو سفيان : فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذبا لكذبت عنه، قال هرقل: كيف نسبه فيكم ؟قال ابو سفيان: هو فينا ذو نسب،قال هرقل: فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟قال ابو سفيان : لا،قال هرقل: فهل كان من آبائه من ملك ؟قال ابو سفيان: لا، قال هرقل: فأشراف الناس يتبعونه أم ضعفاؤهم؟ قال ابو سفيان: بل ضعفاؤهم، قال هرقل: أيزيدون أم ينقصون ؟قال ابو سفيان: بل يزيدون،قال هرقل: فهل يرتد أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ قال ابو سفيان: لا، قال هرقل: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

قال ابو سفيان : لا، قال هرقل: فهل يغدر؟ قال ابو سفيان : لا، ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها.قال أبو سفيان : ولم تمكني كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة، قال هرقل: فهل قاتلتموه؟ قال ابو سفيان : نعم،قال هرقل: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال ابو سفيان : الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه،قال هرقل : ماذا يأمركم؟

قال ابو سفيان : يقول: اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا واتركوا ما يقول آباؤكم ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة

فقال هرقل للترجمان: قل له: سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها،وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول فذكرت أن لا فقلت: لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله،وسألتك هل كان من آبائه من ملك فذكرت أن لا قلت: فلو كان من آبائه من ملك قلت رجل يطلب ملك أبيه،وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال فذكرت أن لا فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب على الله،وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم فذكرت أن ضعفاءهم اتبعوه وهم أتباع الرسل،وسألتك أيزيدون أم ينقصون فذكرت أنهم يزيدون وكذلك أمر الايمان حتى يتم،وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه فذكرت أن لا وكذلك الايمان حين تخالط بشاشته القلوب،وسألتك هل يغدر فذكرت أن لا وكذلك الرسل لا تغدر،وسألتك بما يأمركم فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وينهاكم عن عبادة الأوثان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف فإن كان ما تقول حقا فسيملك موضع قدمي هاتين،وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم، فلو أني أعلم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه ثم دعا بكتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي بعث به دحية إلى عظيم بصرى فدفعه إلى هرقل فقرأه فإذا فيه بسم الله الرحمن الرحيم من محمد عبد الله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم سلام على من اتبع الهدى أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين ويَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ

قال أبو سفيان، فلما قال ما قال وفرغ من قراءة الكتاب كثر عنده الصخب وارتفعت الأصوات وأخرجنا فقلت لأصحابي حين أخرجنا لقد أمر أمر ابن أبي كبشة إنه يخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام الخ الحديث .رواه البخاري

هذا أبو سفيان – وهو يومئذٍ مشرك – يُخبِر هرقل بما يأمرهم ويدعوهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فيقول : يقول اعبدوا الله وحده ولا تُشرِكوا به شيئا واترُكوا ما يقول آباءكم ، ويستأنِف أبو سفيان قائلاً :
ويأمرنا بالصَّلاة والصِّدق والعفاف والصِّلة . فذَكَر لُبَّ وأصل دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وهي : (عبادة الله وحده وعدم الإشراك به وترك ما يقول الآباء) ثُمَّ ذَكَر الشرائع التفصيلية وهي : (الصَّلاة والصِّدق والعفاف والصِّلة).
وفي الحديث أيضًا بيان دعوة النبي صلى الله عليه وسلم أهل الكتاب إلى الإسلام ،حيث يدعوهم إلى كلمة سواء بين المسلمين وأهل الكتاب المتمثِّل معناها في قوله : (أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخِذ بعضُنا بعضًا أرباباً من دون الله).
فإنَّ اتخاذ الأرباب من دون الله عبادةٌ لهم ، والكلمة السواء (لا إله إلا الله) تعني : إفراد الله بالعبادة، وجاء هذا المعنى واضِحًا جَلِيًّا في قوله تعالى: [اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ]
قال أبو محمد بن حزم (456هـ) : لما كان اليهود والنصارى يحرِّمون ما حرَّم أحبارُهم ورهبانُهم، ويحلون ما أحلوا، كانت هذه ربوبية صحيحة، وعبادة صحيحة، وقد دانوا بها، وسمى الله تعالى هذا العمل اتخاذ أرباب من دون الله عبادة، وهذا هو الشرك بلا خلاف.اهـ
عن عدي بن حاتم قال: أتيت رسولَ الله صلى الله عليه وسلم وفي عُنُقي صليبٌ من ذهب, فقال: يا عديّ، اطرح هذا الوثنَ من عنقك ! قال: فطرحته، وانتهيت إليه وهو يقرأ في « سورة براءة » , فقرأ هذه الآية: (اتخذوا أحبارهم ورُهبانهم أربابًا من دون الله)، قال قلت: يا رسول الله، إنا لسنا نعبدُهم! فقال: أليس يحرِّمون ما أحلَّ الله فتحرِّمونه, ويحلُّون ما حرَّم الله فتحلُّونه؟ قال: قلت: بلى! قال: فتلك عبادتهم!
عن أبي البختري قال: قيل لحذيفة: أرأيت قول الله: (اتخذوا أحبارهم) ؟ قال: أمَا إنهم لم يكونوا يصومون لهم ولا يصلون لهم, ولكنهم كانوا إذا أحلوا لهم شيئًا استحلُّوه, وإذا حرّموا عليهم شيئًا أحله الله لهم حرَّموه, فتلك كانت رُبوبيَّتَهم.

فهموا من لا إله إلا الله أنها تعني : ترك الشِّرك (أن لا يُشركوا بالله شيئا) والذي مِن صُوَرِه (عبادة الأوثان واتخاذ الأرباب من دون الله) . فلا إله إلا الله تنفي الشِّرك ولا تجتمع معه أبدًا ، فحيثُما وُجِدَ الشِّرك انتفت لا إله إلا الله.

قصة إسلام أبي بكر رضي الله عنه : جاء في السيرة أنه لقي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال له : أحقٌّ ما تقول قريش يا محمد ؟ من تركك آلهتنا وتسفيهك عقولنا ، وتكفيرك آباءنا ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : بلى إني رسول الله ونبيه ، وبعثني لأبلغ رسالته ، وأدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له ، ولا تعبد غيره ، والموالاة على طاعته ، وقرأ عليه القرآن . فأسلم وكفر بالإصنام وخلع الأنداد وأقر بحق الإسلام ورجع أبو بكر ، وهو مؤمن مصدق. [السيرة النبوية لابن كثير (433/1)].

هذه قريش تُدرك ـ من دعوة النبي صلى الله عليه وسلم ـ أنه يكفرها، بل ويكفر آباءهم .

لقد فهموا أنه جاءهم بدين جديد من دخله اعتبره مسلما ومن لم يدخله ـ سواء عن جهل أم عن عناد ـ اعتبره كافرا.

فيه بيان دعوة النبي صلى الله عليه وسلم وأنها تمثلت في:

1ـ إفراد الله بالألوهية ، وذلك في قوله:(وأدعوك يا أبا بكر إلى الله وحده لا شريك له).

2ـ إخلاص العبادة لله عز وجل ، وذلك في قوله: (ولا تعبد غيره).

3ـ البراءة من الشرك وأهله ، وذلك في قوله:(والموالاة على طاعته).

قال محمد بن كعب القرظي: حدثت أن عتبة بن ربيعة كان سيدًا حليمًا, قال يومًا وهو جالس في نادي قريش ورسول الله صلى الله عليه وسلم جالس وحده في المسجد: يا معشر قريش ألا أقوم إلى محمد وأكلمه وأعرض عليه أمورًا لعله يقبل منا بعضها, فنعطيه ويكف عنا, وذلك حين أسلم حمزة ورأوا أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يزيدون ويكثرون, فقالوا: بلى يا أبا الوليد فقم إليه فكلمه, فقام عتبة حتى جلس إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم, فقال: يا ابن أخي إنك منا حيث علمت من البسطة في العشيرة والمكان في النسب, وإنك قد أتيت قومك بأمر عظيم, فرقت جماعتهم, وسفهت أحلامهم, وعبت آلهتهم, وكفَّرت من مضى من آبائهم, فاسمع مني أعرض عليك أمورًا تنظر فيها ...إلخ الحديث.

فهموا أن محمدا صلى الله عليه وسلم قد جاءهم بأمر عظيم (بدين جديد) فرق به جماعتهم .
إنه دين يفرق بين من دخله (فيعتبره مسلما) وبين من لم يدخله (فيعتبره كافرا)، ونفس الأمر بالنسبة لكفار قريش حيث اعتبروا من دخل الإسلام فقد صبأ (أي ترك دينهم) ، فكانوا ينادون من دخل الإسلام الصابئ.

فهِموا أنَّ لا إله إلا الله تقتضي : تكفير المشركين - سواءٌ كانوا جاهلين أم معاندين - .

لِهذا كلِّه كَبُرَ على المشركين ما يدعوهم إليه محمد صلى الله عليه وسلم ، وذلك أنهم فهموا حقيقة ما يدعوهم إليه وانه لا يدعوهم لمجرد النطق بكلمة (لا إله إلا الله) فحسب.
قال تعالى : { كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ } .قال ابن جرير الطبري(310هـ) : يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صَلَّى الله عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كبر على المشركين بالله من قومك يا محمد ما تدعوهم إليه :من إخلاص العبادة لله, وإفراده بالألوهية والبراءة مما سواه من الآلهة والأنداد.

الخلاصة: إنَّ لا إله إلا الله تعني :

1ـ إخلاص العبادة لله عز وجل 2ـ وإفراده بالألوهية 3ـ والبراءة من الشّرك وأهله.

1ـ إخلاص العبادة لله عز وجل :

1ـ إخلاص العبادة لله عز وجل : يتمثَّل في إفراد الله عز وجل بالعبادة ، فأيُّ عبادة صرفُها لله عز وجل توحيد وصرفُها لغيره شرك .

فالدعاء – مثلا – عبادة ، فعن النعمان بن بشير رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(الدعاءهو العبادة) ثم قرأ: {وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ} ﴿٦٠﴾ سورة غافر . وقال الترمذي هذا حديث حسن صحيح.

قال تعالى: { وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَىٰ أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾} سورة مريم

وقال تعالى: {وَأَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا} ﴿١٨﴾ سورة الجن .

فالذي ينبغي أن يُدعى هو الله عز وجل، وصرف الدعاء له وحده توحيد ، أما دعاء غير الله عز وجل فهو الشِّرك

قال تعالى: {لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} ﴿١٤﴾ سورة الرعد.

وقال تعالى : {إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ} ﴿١٤﴾ سورة فاطر

وقال تعالى: {فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ} ﴿٢١٣﴾ سورة الشعراء

والتحاكم ـ مثلا ـ عبادة ، قال تعالى : { إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} ﴿٤٠﴾ سورة يوسف. فالتحاكم الى شرع الله توحيد ، اما التحاكم إلى غير شرع الله فهو الكفر .

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} ﴿٦٠﴾ سورة النساء.

فكما أنَّ الدعاء عبادة وصرفه لغير الله كفر ، فكذلك التحاكم عبادة وصرفه لغير الله كفر ، لا فرق بينهما البتَّة.

هل المطلوب عبادة الله أم إخلاص العبادة له ؟

إن العبادة إذا خالطها الشرك لا تسمى عبادة، ولا يسمى صاحبها عابدا لله. قال تعالى: {لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ ﴿١﴾ إِيلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴿٢﴾ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَٰذَا الْبَيْتِ ﴿٣﴾ الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ ﴿٤﴾} سورة قريش

فلو أن مشركي قريش كانوا يخلصون العبادة لله عز وجل ما أمرهم الله عز وجل بعبادته في قوله(فليعبدوا رب هذا البيت) فلم يقبل عبادتهم ولم يعتبرهم عابدين له ، وانظر أيضا إلى قوله تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾} سورة الكافرون.

فمع أنهم عبدوا الله وعبدوا معه غيره إلا أنه قد نفى عنهم أن يكونوا عابدين له، فالمطلوب بالذات ليست عبادة الله فحسب وإنما إخلاص العبادة له وحده.

قال تعالى: {إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ ﴿٢﴾ أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ۚ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾} سورة الزمر

قال تعالى:{قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ} ﴿١١﴾ سورة الزمر

قال تعالى:{فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} ﴿١٤﴾ سورة غافر

قال تعالى:{هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ ۗ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} ﴿٦٥﴾ سورة غافر

قال تعالى:{وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ ۚ وَذَٰلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ} ﴿٥﴾ سورة البينة

2ـ إفراد الله عز وجل بالألوهية:

2ـ إفراد الله عز وجل بالالوهية: إنَّما هو إله واحد ،قال تعالى: {وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ} ﴿٥١﴾ سورة النحل، قال تعالى: {هَٰذَا بَلَاغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِ وَلِيَعْلَمُوا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ} ﴿٥٢﴾ سورة إبراهيم، قال تعالى: {قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ} ﴿١٠٨﴾ سورة الأنبياء،

قال تعالى:{وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّن بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ} ﴿٣٤﴾ سورة الحج. وهو الإله المعبود بحق ، قال تعالى: {ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ} ﴿٦٢﴾ سورة الحج ، قال تعالى:{لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَيْءٍ إِلَّا كَبَاسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَالِغِهِ وَمَا دُعَاءُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ} ﴿١٤﴾ سورة الرعد

إفراد الله عز وجل بالألوهية يقتضي نفي الأرباب من دون الله:

إنَّ الله عز وجل هو الخالق، وكما له الخلق له الأمر ، فهو الآمر الناهي (المشرّع) قال تعالى: {إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ} ﴿٥٤﴾ سورة الأعراف

فمن مقتضى التوحيد إفراد الله عز وجل بالأمر والنهي (بالتشريع) ، فهو المحلل للحلال والمحرم للحرام، وإنّ من الشّرك بالله قبول التشريع من غير الله عز وجل ، أو الرّضى به (اتخاذهم أربابا من دون الله)، أو تشريع شرع يخالف شرع الله ، أوالتحاكم إلى غير شرع الله .

قال تعالى : {أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُم مِّنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَن بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ} ﴿٢١﴾ سورة الشورى

قال تعالى: {وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجَادِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ} ﴿١٢١﴾ سورة الأنعام

قال تعالى: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوا إِلَى الطَّاغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوا أَن يَكْفُرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا} ﴿٦٠﴾ سورة النساء

قال تعالى: {قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ} ﴿٦٤﴾ سورة آل عمران

قال تعالى:{اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} ﴿٣١﴾ سورة التوبة

قال تعالى:{ يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَّيْتُمُوهَا أَنتُمْ وَآبَاؤُكُم مَّا أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَانٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ } سورة يوسف

إفراد الله عز وجل بالألوهية يقتضي نفي الأولياء من دون الله:

إنَّ الله عز وجل هو الوليُّ قال تعالى: {أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ} ﴿٩﴾ سورة الشورى ، {إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ} ﴿١٩٦﴾ سورة الأعراف

فمن مقتضى التوحيد إفراد الله عز وجل بالولاية ، وإنَّ من الشِّرك اتخاذ الأولياء من دونه

قال تعالى: {أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ كَفَّارٌ} ﴿٣﴾ سورة الزمر

قال تعالى:{فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمُ اتَّخَذُوا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ} ﴿٣٠﴾ سورة الأعراف

إفراد الله عز وجل بالألوهية يقتضي نفي الأنداد والشُّركاء من دون الله:

إنَّ الله عز وجل هو الواحد الأحد الفرد الصَّمد ، {قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ﴿٤﴾} سورة الإخلاص ،لا نِدَّ له ولا شريك، وإنَّ من الشِّرك بالله اتخاذ الأنداد والشُّركاء

قال تعالى: {الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ} ﴿٢٢﴾ سورة البقرة

قال تعالى:{وَقَالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَن نَّكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَندَادًا وَأَسَرُّوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} ﴿٣٣﴾ سورة سبأ

قال تعالى:{وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِيَ مَا كَانَ يَدْعُو إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ} ﴿٨﴾ سورة الزمر

قال تعالى:{قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ} ﴿٩﴾ سورة فصلت

عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سألت رسول الله صلى الله عليه وسلم: أي ذنب أعظم عند الله؟ قال: « أن تجعل لله ندا وهو خلقك » رواه البخاري.

قال تعالى:{وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} ﴿٩٤﴾ سورة الأنعام

قال تعالى:{فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ} ﴿١٩٠﴾ سورة الأعراف

قال تعالى:{أَفَمَنْ هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ} ﴿٣٣﴾ سورة الرعد

قال تعالى:{وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ شُرَكَاؤُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُو مِن دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ} ﴿٨٦﴾ سورة النحل

إفراد الله عز وجل بالألوهية يقتضي نفي الشُّفعاء من دون الله ودون إذنه:

إنَّ لله عز وجل الشَّفاعة قال تعالى: {قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا لَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} ﴿٤٤﴾ سورة الزمر ، قال تعالى: { مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ } ﴿٢٥٥﴾ سورة البقرة ، قال تعالى: {وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ } ﴿٢٣﴾ سورة سبأ ، قال تعالى: {يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَىٰ وَهُم مِّنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} ﴿٢٨﴾ سورة الأنبياء ، قال تعالى: {يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَٰنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا} ﴿١٠٩﴾ سورة طه ، قال تعالى: {لَّا يَمْلِكُونَ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنِ اتَّخَذَ عِندَ الرَّحْمَٰنِ عَهْدًا} ﴿٨٧﴾ سورة مريم ، قال تعالى: {وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ} ﴿٨٦﴾ سورة الزخرف.

وإنَّ من الشِّرك اتخاذ الشفعاء من دون الله عز وجل

قال تعالى: {وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ} ﴿٩٤﴾ سورة الأنعام

قال تعالى:{وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءُ وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ} ﴿١٣﴾ سورة الروم

قال تعالى:{أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ} ﴿٤٣﴾ سورة الزمر

3ـ البراءة من الشِّرك وأهله :

3ـ البراءة من الشِّرك وأهله : كما يتبرَّأ المسلم من الشِّرك (كفعل) ، يتبرَّأ أيضاً من المشرِك (كفاعل) ، ويتبرَّأ أيضاً من الذي اتُّخِذ شريكًا لله عز وجل (المفعول به) ، لا انفكاك بين الأمور الثلاثة ، وهذا مقتضى العقل والبديهة وهو هدي الأنبياء وعلى رأسهم إمام الحنفاء إبراهيم عليه السلام

1 ـ قال تعالى:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً إِنِّي أَرَاكَ وَقَوْمَكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ} ﴿٧٤﴾ سورة الأنعام

2 ـ قال تعالى: {وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِن قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَٰذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنتُمْ لَهَا عَاكِفُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا لَهَا عَابِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾} سورة الأنبياء

3 ـ قال تعالى:{وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ} ﴿٢٦﴾ سورة الزخرف

4 ـ قال تعالى: {فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّي هَٰذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَتْ قَالَ يَا قَوْمِ إِنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} ﴿٧٨﴾ سورة الأنعام

في الآية الأولى والثانية : تبرَّأ إبراهيم عليه السلام من أبيه وقومه وآبائهم، أي: تبرَّأ من العابدين.

في الآية الثالثة والرابعة : تبرَّأ إبراهيم عليه السلام مِمَّا يعبدون من دون الله ، أي: تبرَّأ من المعبودات.

فهي براءة من الشِّرك وأهله ، وهذا ماجاء واضِحًا جليًّا في قوله تعالى: { قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَ مِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ } ﴿٤﴾ سورة الممتحنة.

وهو هدي خاتم الأنبياء والمرسلين : محمد صلى الله عليه وسلم

قال تعالى: {قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ أَنَّ مَعَ اللَّهِ آلِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ وَإِنَّنِي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ} ﴿١٩﴾ سورة الأنعام

قال تعالى: {قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ﴿٦﴾} سورة الكافرون

********* كيف يحقق المرء التوحيد؟ *********

كي يحقق المرء التوحيد يجب عليه أن يفرد الله عز وجل بالألوهية ، فيعتقد أنه لا معبود بحق إلا الله (فهو المستحق للعبادة)

وعليه أن يخلص في عبادته لله عز وجل فلا يخالطها بشرك ، ويعتقد أن من أفرد الله بالألوهية وأخلص له العبادة فهو في دين الله (الإسلام) وأن من أخلّ بذلك فهو على غير دين الله عز وجل. إنهما فريقان لا يستويان: مسلمون وكفار .

إن المسلم - بحكم إسلامه- يميز بين المسلم والمشرك، بين من حقق الإسلام وبين من أخل به.

إن من لم يكن في دينه (الإسلام) فهو بالضرورة خارج عنه.

إنه لم يكن مسلما حتى ترك الشرك، فمن لم يترك الشرك لا يمكن أن يعتبره مسلما مثله.

إن الذي يحكم على فاعل الشرك بالإسلام لا يكون مسلما ، لأنه لم يفهم الإسلام أصلا، فهو يجوّز أن يكون هناك إسلام مختلط بشرك. بينما الإسلام ينفي الشرك ، فهما ضدّان لا يجتمعان.

بعد أن بينا معنى الإسلام الحق المتمثل في :

1 ـ إخلاص العبادة لله عز وجل 2ـ وإفراده بالألوهية 3ـ والبراءة من الشّرك وأهله.

نخلُص إلى أنَّ :

1ـ من جهل معنى الإسلام ، لا يكون مسلِمًا أبدا، فهو مشركٌ كافر .

2ـ من صرف عبادة لغير الله عز وجل (كالدعاء أو التحاكم أو ...) ،لم يُخلِص العبادة لله عز وجل ، فهو مشرِكٌ كافر.

3ـ من اتَّخَذَ مُشرِّعًا دون الله عز وجل ، لم يُفرِدِ الله عز وجل بالألوهية ، فهو مشرِكٌ كافر.

4ـ من اتَّخَذَ الشفعاء أو الأنداد أو الأولياء أو الشركاء أو الأرباب من دون الله عز وجل ، لم يُفرِدِ الله عز وجل بالألوهية ، فهو مشرِكٌ كافر.

5ـ من لم يكفِّر المشركين أو شكّ في كفرهم أو صحَّحَ مذهبهم، لم يتبرّأ من الشِّرك وأهله ، فهو مشركٌ كافر.

الحُكم على قومنا

إنَّ قومنا (أي غالبهم، فالنادر لا حُكم له) يجهلون معنى الإسلام ، والذي يجهل الإسلام لا يكون مسلِمًا ، فهم كفارٌ مشرِكون، ومن جهلهم بالإسلام لا يُخلِصون العبادة لله عز وجل فهم يصرفونها لغير الله عز وجل (كالدعاء والتحاكم ـ مثلا ـ) فهم يدعون الأضرحة والقبور ويتحاكمون إلى الطواغيت ، ومن جهلِهم بالإسلام لا يُفرِدون الله عز وجل بالألوهية فهم يتخذون من دونه الشفعاء والأنداد والشركاء والأرباب ، ومن جهلِهم بالإسلام لا يتبرَّؤون من الشِّركِ وأهله فهم لا يُكفِّرون المشركين ولا يتبرّؤون منهم فهم يرونهم إخوانهم في الدِّين .

إنّهم لا يرون دعاء القبور شركا بالله ، ومن يراه شركا بالله ويجتنبه لا يُكفّر من يدعو القبور ، ومن يراه شركا بالله ويجتنبه و يُكفِّر من يدعو القبور لا يُكفِّر من شكَّ أو توقَّف في كفر عابد القبر .

ومثل هذا ـ تماما ـ يقال في التحاكم إلى الطواغيت .

إن من عرف الإسلام الحق لا يمكن أن يجهل حكم هذه الأمة ،فهو يرى ويعاين دينها الذي هو الكفر.

إن دين هذه الأمة ما يعتقده أفرادها، فكما نحكم عليها بالكفر جملة نحكم على أفرادها بالكفر تعيينا ،إلا من علمنا بإسلامه ومفارقته لدينها، وهو استثناء، والإستثناء يؤكد الأصل ولا ينفيه.

إن حكم الفرد حكم قومه إلا إذا أظهر ما يخالف دينهم ، فيحكم على أي فرد من هذه الأمة بالكفر إلا إذا أظهر ما يدل على إسلامه.

ويحكم على الفرد منهم بالكفر سواء أظهر الكفر أو لم يظهره، مثلما نعتقد في الأمم الأخرى كالنصارى والهندوس وغيرهم، فإن أظهر الفرد منها الكفر(كدعاء القبور أو التحاكم الى الطاغوت مثلا) يبقى حكمنا ثابتا على حاله، لأن الأصل في هذه الأمة هو الكفر الذي هو دينها، ولا يصح أن يطبق على هذه الأمة الكافرة ما يطبق على الأمة المسلمة.

كما يعتقد الفرد من هذه الأمة إذا أسلم أنه كان كافرا قبل أن يدخل هذا الدين،فإنه يعتقد أن هذه الأمة كافرة لأنها ليست على دينه. لقد كان على دينهم ثم تركه وخالفهم ، فهل يمكن أن يخفى عليه حكمهم ؟ ؟

إن هذا الدين قد سبقنا إليه غيرنا ، وإننا لا نريد أن نعطي دروسا نظرية فقط ، لذلك فإننا نزيد الأمر وضوحا بإعطاء مثال عملي نبين فيه كيف طبق أحد الصحابة التوحيد ومقتضياته على أرض الواقع .

*** قصة إسلام الطُّفَيْلِ بنِ عَمْرٍو الدَّوْسِيِّ ***

عَنْ صَالِحِ بْنِ كَيْسَانَ أَنَّ الطُّفَيْلَ بْنَ عَمْرٍو قَالَ : كُنْتُ رَجُلًا شَاعِرًا سَيِّدًا فِي قَوْمِي ، فَقَدِمْتُ مَكَّةَ ، فَمَشَيْتُ إِلَى رِجَالَاتِ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا : إِنَّكَ امْرُؤٌ شَاعِرٌ سَيِّدٌ ، وَإِنَّا قَدْ خَشِينَا أَنْ يَلْقَاكَ هَذَا الرَّجُلُ ، فَيُصِيبُكَ بِبَعْضِ حَدِيثِهِ ; فَإِنَّمَا حَدِيثُهُ كَالسِّحْرِ ، فَاحْذَرْهُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْكَ وَعَلَى قَوْمِكَ مَا أَدْخَلَ عَلَيْنَا ، فَإِنَّهُ فَرَّقَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَأَخِيهِ ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجَتِهِ ، وَبَيْنَ الْمَرْءِ وَابْنِهِ . فَوَاللَّهِ مَا زَالُوا يُحَدِّثُونِي شَأْنَهُ ، وَيَنْهَوْنِي أَنْ أَسْمَعَ مِنْهُ حَتَّى قُلْتُ : وَاللَّهِ لَا أَدْخُلُ الْمَسْجِدَ إِلَّا وَأَنَا سَادٌّ أُذُنِي ، قَالَ : فَعَمَدْتُ إِلَى أُذُنِي ، فَحَشَوْتُهَا كُرْسُفًا ثُمَّ غَدَوْتُ إِلَى الْمَسْجِدِ ، فَإِذَا بِرَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - قَائِمًا فِي الْمَسْجِدِ ، فَقُمْتُ قَرِيبًا مِنْهُ ، وَأَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُسْمِعَنِي بَعْضَ قَوْلِهِ ، فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : وَاللَّهِ إِنَّ هَذَا لَلْعَجْزُ ، وَإِنِّي امْرُؤٌ ثَبْتٌ ، مَا تَخْفَى عَلَيَّ الْأُمُورُ حَسَنُهَا وَقَبِيحُهَا ، وَاللَّهِ لَأَتَسَمَّعَنَّ مِنْهُ ، فَإِنْ كَانَ أَمْرُهُ رُشْدًا أَخَذْتُ مِنْهُ ، وَإِلَّا اجْتَنَبْتُهُ . فَنَزَعْتُ الْكُرْسُفَةَ ، فَلَمْ أَسْمَعْ قَطُّ كَلَامًا أَحْسَنَ مِنْ كَلَامٍ يَتَكَلَّمُ بِهِ ، فَقُلْتُ : يَا سُبْحَانَ اللَّهِ ! مَا سَمِعْتُ كَالْيَوْمِ لَفْظًا أَحْسَنَ وَلَا أَجْمَلَ مِنْهُ .

فَلَمَّا انْصَرَفَ تَبِعْتُهُ ، فَدَخَلْتُ مَعَهُ بَيْتَهُ ، فَقُلْتُ : يَا مُحَمَّدُ ، إِنَّ قَوْمَكَ جَاءُونِي فَقَالُوا لِي كَذَا وَكَذَا ، فَأَخْبَرْتُهُ بِمَا قَالُوا ، وَقَدْ أَبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ أَسْمَعَنِي مِنْكَ مَا تَقُولُ ، وَقَدْ وَقَعَ فِي نَفْسِي أَنَّهُ حَقٌّ ، فَاعْرِضْ عَلَيَّ دِينَكَ ، فَعَرَضَ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمْتُ ، ثُمَّ قُلْتُ : إِنِّي أَرْجِعُ إِلَى دَوْسٍ ، وَأَنَا فِيهِمْ مُطَاعٌ ، وَأَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُمْ ، فَادْعُ اللَّهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي آيَةً قَالَ : اللَّهُمَّ اجْعَلْ لَهُ آيَةً تُعِينُهُ .

فَخَرَجْتُ حَتَّى أَشْرَفْتُ عَلَى ثَنِيَّةِ قَوْمِي ، وَأَبِي هُنَاكَ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَامْرَأَتِي وَوَلَدِي ، فَلَمَّا عَلَوْتُ الثَّنِيَّةَ وَضَعَ اللَّهُ بَيْنَ عَيْنَيَّ نُورًا كَالشِّهَابِ يَتَرَاءَاهُ الْحَاضِرُ فِي ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ، وَأَنَا مُنْهَبِطٌ مِنَ الثَّنِيَّةِ ، فَقُلْتُ : اللَّهُمَّ فِي غَيْرِ وَجْهِي ،فَإِنِّي أَخْشَى أَنْ يَظُنُّوا أَنَّهَا مُثْلَةٌ لِفِرَاقِ دِينِهِمْ ، فَتَحَوَّلَ فَوَقَعَ فِي رَأْسِ سَوْطِي ، فَلَقَدْ رَأَيْتُنِي أَسِيرُ عَلَى بَعِيرِي إِلَيْهِمْ ، وَإِنَّهُ عَلَى رَأْسِ سَوْطِي كَأَنَّهُ قِنْدِيلٌ مُعَلَّقٌ ، قَالَ : فَأَتَانِي أَبِي فَقُلْتُ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَلَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي . قَالَ : وَمَا ذَاكَ ؟ قُلْتُ : إِنِّي أَسْلَمْتُ وَاتَّبَعْتُ دِينَ مُحَمَّدٍ . فَقَالَ : أَيْ بُنَيَّ ، دِينِي دِينُكَ ، وَكَذَلِكَ أُمِّي ، فَأَسْلَمَا ، ثُمَّ دَعَوْتُ دَوْسًا إِلَى الْإِسْلَامِ ، فَأَبَتْ عَلَيَّ وَتَعَاصَتْ ، ثُمَّ قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَقُلْتُ : غَلَبَ عَلَى دَوْسٍ الزِّنَا وَالرِّبَا فَادْعُ عَلَيْهِمْ . فَقَالَ : اللَّهُمَّ اهْدِ دَوْسًا .

ثُمَّ رَجَعْتُ إِلَيْهِمْ ، وَهَاجَرَ رَسُولُ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَقَمْتُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، حَتَّى اسْتَجَابَ مِنْهُمْ مَنِ اسْتَجَابَ ، وَسَبَقَتْنِي بَدْرٌ وَأُحُدٌ وَالْخَنْدَقُ ، ثُمَّ قَدِمْتُ بِثَمَانِينَ أَوْ تِسْعِينَ أَهْلِ بَيْتٍ مِنْ دَوْسٍ ، فَكُنْتُ مَعَ النَّبِيِّ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - حَتَّى فَتَحَ مَكَّةَ . فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، ابْعَثْنِي إِلَى ذِي الْكَفَّيْنِ ، صَنَمِ عَمْرِو بْنِ حُمَمَةَ ، حَتَّى أُحْرِقَهُ . قَالَ : أَجَلْ ، فَاخْرُجْ إِلَيْهِ . فَأَتَيْتُ ، فَجَعَلْتُ أُوقِدُ عَلَيْهِ النَّارَ ، ثُمَّ قَدِمْتُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - فَأَقَمْتُ مَعَهُ حَتَّى قُبِضَ .[سير أعلام النبلاء(344-345)].

***** ما يستفاد من القصة ******

(فَاعْرِضْ عَلَيَّ دِينَكَ ، فَعَرَضَ عَلَيَّ الْإِسْلَامَ فَأَسْلَمْتُ) إنه لم يكن ليدخل هذا الدين وهو يجهل فحواه، لذلك طلب من الرسول صلى الله عليه وسلم أن يعرضه عليه. ولم يكن ليسلم قبل أن يعرف معناه ويعمل بمقتضاه.

(ثُمَّ قُلْتُ : إِنِّي أَرْجِعُ إِلَى دَوْسٍ ، وَأَنَا فِيهِمْ مُطَاعٌ ، وَأَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ لَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يَهْدِيَهُمْ) فيه التكفير بالعموم ، حيث حكم عليهم بالكفر بدليل أنه أراد دعوتهم إلى الإسلام، فإن المسلم لا يدعى إلى الإسلام. وفيه أنه لم يخفَ عليه حكمهم ، وكيف يخفى عليه حكمهم وقد كان فردا منهم يدين بدينهم.

(فَأَتَانِي أَبِي فَقُلْتُ : إِلَيْكَ عَنِّي ، فَلَسْتُ مِنْكَ وَلَسْتَ مِنِّي) فيه التكفير بالتعيين،فقد تبرأ من أبيه وهو التطبيق العملي للبراءة من الشرك وأهله.

(فَأَقَمْتُ بَيْنَ ظَهْرَانَيْهِمْ أَدْعُوهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ ، حَتَّى اسْتَجَابَ مِنْهُمْ مَنِ اسْتَجَابَ) فيه أنه لم يستثن منهم إلا من ثبت له إسلامه، فمن استجاب لدعوته حكم له بالإسلام ومن لم يستجب لدعوته أبقى عليه حكم قومه، ألا وهو الكفر.